الشبح عند بلاوتوس بين المعتقد الشعبى والموروث الأدبى

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مفهوم الشبح في مسرحية منزل الأشباح لبلاوتوس، ويناقش المرادفات والتصنيفات والتوصيفات المختلفة للأشباح، كذلك يناقش أسباب ظهورها وأصولها وصورها في الفن والأدب، ومدى توافق قصة بلاوتوس مع المعتقد الديني والشعبي، والموروث الأدبي اليوناني والروماني.

مرادفات كلمة شبح:

على الرغم من أن هناك مفردات عديدة في اللغتين اليونانية واللاتينية تحمل معنى كلمة شبح، إلا أنه ليس من بينها ما ينطوي على معنى دقيق ومحدد.

ففي اللغة اليونانية كانت كلمتى φάσμα ، φάνμα الأكثر شيوعًا واستخدامًا بين الكتّاب، وهناك كلمات أخرى تحوي نفس المعنى مثل: δαίμων ، εἴδωον وتشير الكلمتان الأوليان إلى الأشباح من كل الأنواع ، بينما تشير الكلمتان الأخيرتان إلى الأرواح الشريرة فقط.(١)

وتوجد كلمات يونانية أخرى تؤدي ذات المعنى، ولكنها كانت قليلة الاستخدام، ومنها كلمة σκιά وتعني ظل المتوفي، أو بالأحرى ظل الشخص الحي، وأيضًا كلمة ψυχή والتي لم تكن تشير إلى الروح فحسب، بل كانت تعني أيضًا الشبح وفي السياق ذاته تأتي كلمة νεκρόν. وقد استخدم لوكيانوس معظم المفردات السابقة للإشارة إلى الأشباح في أعماله(٢)

وفي اللغة اللاتينية كان المصطلح يحفل بنفس الدرجة من الغموض فنجد كلمات مثل *lemures*، وتشير إلى الأرواح الشريرة، و *larvae* وتعنى أشباح المنزل(٣).

ومن الجدير بالذكر أن بلينيوس الأصغر لم يستخدم كلمة *larvae* لوصف الأشباح التي تسكن المنزل، ولكنه استخدم كلمتي *idolon* (εἴωλον) و *umbra* (σκιά) ، وهناك أيضًا كلمات أخرى استخدمها بلينيوس الأصغر للإشارة إلى الأشباح مثل *monstrum* ، *imago* ، *simulacrum* ، *effigies* ، *manibus*.(٤)

واستخدم فرجيليوس أيضًا كلمات *imago, umbra, simulacrum*، لتشير إلى الأشباح وخاصة أشباح العالم السفلي(٥).

---

(1) Luck (G.), Magic and Occult in the Greek and Roman worlds, Baltimore and London, (1985), p. 163 ff.

(2) (φάσμα) Philops. 14-37, 15-12, 16-3, 29-18, 31-5, (φάνταομα) VH 2.42-1, (εἴδωλον) Demon 25.4, Fug. 10-9, (δαίνμων) Philops. 16-12, 31-16, Luct. 17-5, Gall. 16-15, (νεκρόν) Philops 31-27, Luct. 21-6, (ψυχή) Philops 1-15, 27-17, 40-9, Necy 1-22.

(3) Apul. De Deo Socratis 15.

(4) Plin. 7, 27, 5-11.

(5) Verg. Aen. 2. 772 - 773-793.

كذلك توجد في اللغة اللاتينية كلمات قليلة الاستخدام مثل *facies* ، وتشير إلى الأشباح التي تظهر في الأحلام(١).

وقد وردت في مسرحيات بلاوتوس كلمات umbra ، imago ، facies ، simulacrum(٢)، ولكنها لم تكن تشير إلى الأشباح ، إذ استخدم بلاوتوس كلمة monstrum فقط للإشارة إلى الأشباح في مسرحياته(٣).

تصنيف الأرواح والأشباح

تصنف أرواح الموتى الذين لا ينعمون بالراحة في الأدب اليوناني إلى:

١- Αωροι : وهم الأشخاص الذين ماتوا قبل الأوان، ولا يسمح لهم بدخول العالم السفلي؛ لذا يعودون بعد الموت ليسكنوا أرض الأحياء التي حرموا منها.

٢- Βιαιοθάνατοι : وهم من ماتوا موتًا عنيفًا خاصة في المعارك، وكذلك المنتحرون ، وضحايا جرائم القتل.

٣- Αγᾶμοι : من ماتوا قبل الزواج سواء من الذكور أو الإناث ، وكانت الإناث هن الأكثر قسوة في هذا النوع(٤).

٤- Αταφοι : هؤلاء الذين لم تجر لهم طقوس الدفن، ويبقون في منطقة وسطى بين الهاديس والأرض، وغالبًا ما تسكن أشباح هذا النوع المكان الذي ترقد فيه أجسادهم ، وربما يشكلون خطرًا على الأحياء(٥).

ولا يختلف الأمر كثيرًا في الأدب الروماني، حيث يقسم فرجيليوس (Aen. 6. 325. 30., 426. 443) أرواح الموتى القلقة المحرومة من دخول العالم السفلي إلى: من ماتوا موتًا عنيفًا، ومن ماتوا وهم أطفال، وأولئك الذين ماتوا قبل الأوان، وهم من نفذ فيهم الإعدام ظلمًا، والمنتحرون بشكل عام، والمنتحرون بسبب الحب بشكل خاص، ومن ماتوا في المعارك.

ويعتبر تصنيف أبوليوس (De Deo Socratis, 15) الأكثر شهرة في الأدب الروماني، حيث يقسم أرواح الموتى إلى:

---

(1) Felton (D.), Folkloric Anomalies in a Scene from the Mostellaria, Quderni Urbinati di Cultura Classica, New Series, Vol. 62, N. 2, (1999), p. 129.

(2) (simulacrum) Most. 89. (umbra) Most. 764. 766, 769, Cas. 92, Mil. 625, Per. 298, Vid. 35, (imago) Cas. 515, Men 1063, Poen. 1142, (facies) Most. 75.

(٣) وردت كلمة monstrum في العديد من مسرحيات بلاوتوس ومنها:
Most. 505, Trin. 948, Mil. 256, Men. 742, Cap. 359, Poen. 273, Asin. 289.

(4) Ogden (D.), Magic Witchcraft and Ghosts in Greek and Roman World, Oxford, (2002), p. 146

(5) Aguirre (M.), Some Ghostly Appearances in Greece: Literary and Artistic Sources, Gerion, (2009), 27 num. 1, p. 180, cf.also: Plin. N.H. 28, 2-19

١ – Di Manes : وهى أرواح طيبة تنعم بالسلام مع الموتى في العالم السفلى؛ لأن شعائر الدفن تمت على النحو الصحيح.

٢ – Lemures : وهى أرواح شريرة، أو أشباح غير متجسدة.

٣ – Larvae : وهى أشباح المنازل.

وتتفق توصيفات أبوليوس لكل من Di Manes و Larvae مع معظم الكتّاب، إلا أن توصيفه لكلمة lemures لا يتفق مع بعضهم، وخاصة أوفيديوس (Fasti 5. 419-92) وعلى الرغم من ذلك كان تصنيف أبوليوس الأكثر قبولاً وشهرة لدى معظم الكتّاب والمؤلفين، إذ حاز على قبول الكثيرين منهم[١].

وبالنسبة للنوع الأول Di Manes فلا شك أن إضافة كلمة Di (الإلهة) تضيف مغزى ينطوي على التقديس والتعظيم، لأن هذا النوع يشمل فقط أرواح الذين اتسمت حياتهم بالعدل والحكمة، والذين أقيمت لهم المعابد والطقوس ؛ لكونهم قوى مقدسة، ويستحقون التقدير من الناس[٢].

لذا كان يتم تكريم هذا النوع والاحتفاء به تحت مسمى Di Parentes في احتفال *Parentalia*[٣].

ويعتبر هوراتيوس (*Epist.2.2.209*) أول من ذكر *lemures* في الأدب الروماني، ولكنه لا يوضح ماهية هذه الأرواح، رغم أنه كان معروفًا أنها تسبب الأذى والخوف.

ولقد اختلف النقاد حول توصيف *Lemures* ، فيرى مريلي *Murley* أنها الأرواح التى تهيم على وجهها ليلاً وهي مخيفة ومؤذية،[٤] ويؤكد بيلى أنها أرواح الذين ماتوا موتًا عنيفاً[٥].

ويشير تانيل *Thaniel* إلى أنها الأشباح التي يحاول صاحب المنزل طردها من منزله عن طريق بعض التعاويذ السحرية، أو الاستعانة بمشعوذ فى الاحتفالات السنوية[٦].

ويوضح مورلي *Morley* أنها أرواح شريرة كان يقام لها الاحتفالات لاسترضائها[٧].

ويرى فولر *Fowler* أنها أرواح الذين لم يدفنوا وفق الشعائر السليمة، وربما يعودون إلى منازلهم السابقة[٨].

ومن ثم كان يُلتمس منها دائمًا العفو والاسترضاء، خاصة في احتفالات *Lemuria*[٩].

---

(1) Winkler (J.), Lollianos and the Desperadoes, Journ. Hell. Stud. 100, (1980), p. 159, N. 15.

(2) Ogden (D.), op. cit., p. 149.

(3) Ovid. Fasti 2-533 ff.

(4) Murley (C.), The Classification of Souls in the Sixth Aeneid Vergilius, 5, (1940), p. 20.

(5) Bailey (C.), Religion in Virgil, Oxford, (1935), pp. 255-270.

(6) Thaniel (G.), Lemures and Larvae, AJPH Vol. 94, N. 2, (1973), p. 183.

(7) Morley (L.), Greek and Roman Ghost Stories, Oxford, (2008), p. 5.

(8) Fowler (W.W.), Roman Festivals of the Period of the Republic, London, (1989), p. 108

(٩) كانت تقام احتفالات Lemuria أو Lemuralia في شهر مايو وكانت لا تعقد في هذه الأيام احتفالات زواج.

وعلى الرغم من التوصيفات السابقة، إلا أن هناك بعض الكتّاب خلطوا بين *Manes* و *Lemures*، وكان أوفيديوس من أولئك الذين أكدوا أنهما متشابهان .

وقد اتفق بعض النقاد مع رأي أوفيديوس السابق، وكان أشهرهم فريزر *Frazer*(١).

ونحن هنا لا نتفق مع رأى أوفيديوس، حيث ثمة فرق واضح بين *Manes* (الأرواح الخيرة) و *Lemures* (الأرواح الشريرة).

وهكذا يتضح أن *Lemures* هي أرواح شريرة أو أشباح لمن ماتوا قبل الأوان، أو من ماتوا موتًا عنيفًا، أو أولئك الذين لم تجر لهم طقوس الدفن السليمة.

ويصنف الباحثون Larvae (أشباح المنازل) ضمن فئة الأرواح الشريرة، وهذا ليس بجديد، بل نراه عند كتّاب كثيرين أمثال فارو (Arn. 3.41) وأبوليوس (*Met. 6.30, 9.29*).

ويؤكد كل من سينيكا (*Apocol. 9*) وبلينيوس الأكبر (*N.H. 1. Praef. 31*) أن Larvae أرواح شريرة كانت مختصة بتعذيب الموتى.

ويشير بلاوتوس (*Cas. 592, Merc. 981, Aul. 642, Capt. 598*) إلى أنها أرواح شريرة تصيب الإنسان بالجنون(٢).

صور وأشكال الأرواح والأشباح في الفن والأدب

لقد تعددت مجالات التصوير عند كل من اليونان والرومان للتعبير عن أشكال الأرواح والأشباح، ما بين رسوم الفخار التي تميز بها الشعب اليوناني، والتصوير الجداري وفن الفسيفساء اللذين ذاع صيتهما في روما. وكان للأشباح والأرواح العديد من الصور والأشكال، ومنها تصويرها ككائنات أو مخلوقات مجنحة.

وقد ظهرت المخلوقات الصغيرة المجنحة لأول مرة في رسومات ومشاهد خيرون كما يؤكد العديد من النقاد والدارسين،(٣)، وفيها يصور الفنان كائنات أو مخلوقات صغيرة مجنحة تشير إلى الموتى في الهاديس وهي مشاهد تصور استقبال الأرواح في العالم السفلى، وأحيانًا يصور خيرون كشخص في شكله وحجمه الطبيعي(٤).

Ovid. Fasti V. 419 ff.

(1) Frazer (J.G.), Publii Ovidii Nasonis (C.) Fastorum Libri Sex, London, (1929), p. 38.

(2) Thaniel (G.), Op. Cit., pp. 186-187.

(٣) للمزيد من التفاصيل عن الصور واللوحات الاتيكية التي تصور خيرون والمخلوقات المجنحة. انظر:
Fairbanks (A.), Athenian White Lekythoi, New York and London, (1914), Kurtz (D.C.), Athenian White Lekythoi, Pattern and Painters, Oxford, (1975)

(4) Sourvinou-Inwood, Reading Greek Death, Oxford, (1995), pp. 322, 323, 327 ff.

ويبدو ذلك جليًا فى رسم فخارى (lekythos)(١) يرجع للقرن الخامس قبل الميلاد، حيث يظهر خيرون على قاربه، وإلى جواره روح صغيرة مجنحة. (شكل ١)

وهذا التصوير للشبح أو الروح على أنه مخلوق صغير مجنح تتوافق مع وصف الأشباح كخفافيش، وتزودنا بعض المصادر الأخرى بوصف مشابهٍ تظهر فيه الأشباح كطيور ذات أجنحة صغيرة(٢).

ومن المحتمل أن يكون الفنانون قد استلهموا المعتقدات التقليدية عمّا يحدث بعد الموت، ويرسمون الشبح أو الروح بنفس الوصف الذي قدمه هوميروس والكتّاب الآخرون، وربما تشير صور المخلوقات المجنحة إلى السرعة الفائقة للأرواح عندما تغادر الجسد، وتنتقل إلى العالم السفلي، ولا شك أن الفنانين عندما كانوا يصورون الروح أو الشبح كشخص مجنح كانوا يبغون وصف الارتباط بين الروح والجسد(٣).

وهناك أيضًا العديد من الصور والرسومات التي تظهر الأرواح والأشباح كمخلوقات مجنحة ومنها:

صورة من الموزايكو (Mosaic) للإله المجنح إيروس يقف على جناحي بسيخي وهيدوني وهما يستعدان لعبور البحر، وهي محفوظة في متحف إنطاكية – تركيا ، وترجع للقرن الثالث الميلادى(٤). (شكل ٢)

وأيضًا رسم فخاري (Krater)(٥) باللون الأحمر(٦) لاثنين من الإيرينيات ترتديان زي الصيادات بملبس بطول الركبتين، وأحذية الصيد إحداهما مجنحة، وتحيط بالرأس والذراعين الثعابين السامة، وهو محفوظ في متحف Badies Landesmuseum ألمانيا ويرجع لعام ٣٤٠ ق.م.(٧) (شكل ٣)

كذلك رسم فخارى (Hydria)(٨) باللون الأسود(٩) لمشاهد من الكتابين ٢٢، ٢٣ من إليادة هوميروس، وفيها ينزل رسول الآلهة المجنح إلى طروادة؛ ليطلب من الملك برياموس أن يفتدي جسد ابنه هيكتور من أخيليوس، ويظهر البطل الإغريقي في الرسم يشد جسد البطل الطروادي هيكتور حول

---

(١) Lekythos : نوع من الأواني الفخارية كان يستخدم لحفظ الزيت الذي يدهن به أجساد الرجال المتوفين غير المتزوجين وقد وجد العديد من هذه الأواني في المقابر

(2) Sophocles OT. 175.

(3) Aguirre (M.), Op. Cit., p. 185.

(4) http://www.Theoi.Com/Gallery/231.3.html.

(٥) Krater : نوع من الأواني الفخارية كان عادة ضخمًا ويستخدم لخلط الخمر بالماء.

(٦) Red Figure : "الفخار ذو الصورة الحمراء" وفي هذا الأسلوب لا ترسم الاشكال بل تحدد على سطح الإناء ذي اللون الأحمر ثم يدهن الجزء غير المصور باللون الأسود ومن ثم تصبح الأشكال حمراء على أرضية سوداء.

(7) http://www.Theoi.Com/Gallery/T40.1.html.

(٨) Hydria : نوع من الأوانى الفخارية كان يستخدم لحمل وتخزين المياه

(٩) Black Figure : عبارة عن رسم الأشكال المصورة باللون الأسود على أرضية حمراء هي لون الإناء بعد الحرق واستمرت أثينا في إنتاج الفخار المنفذ لهذا الأسلوب من علم ٦٣٠ ق.م وحتى عام ٥٣٠ ق.م تقريبًا

مقبرة صديقه باتروكلوس الذى وصفت روحه كشاب مجنح، وهو محفوظ في متحف الفنون الجميلة بوسطن، أمريكا، ويرجع للفترة ما بين ٤٢٠ – ٤١٠ ق.م.[(١)] (شكل ٤)

وفى صور المحاربين الموتى هناك صورة لشاب مجنح يرمز إلى الروح التي تفارق الجسد، وهي محفوظة في متحف اللوفر – فرنسا، وترجع إلى أوائل القرن الرابع ق.م.[(٢)].

وبالإضافة إلى تصوير الأرواح والأشباح كمخلوقات مجنحة، فقد تم تصويرها أيضًا كبشر عاديين، سواء أكانوا حول مقابرهم أم بالقرب من أجسادهم، أم في العالم السفلى.

وبالنسبة لتصوير الأرواح والأشباح حول مقابرهم يكون صعبًا التمييز بين الشبح والشخص المتوفى، وهناك بعض الصور التي تصور المتوفين حول مقابرهم ومنها:

صورة أتيكية لرجل وشاب متوفى بجانب مقبرته وهى محفوظة فى المتحف القومى – أثينا، وترجع للفترة ما بين ٤٧٠ – ٤٦٠ ق.م.

كذلك صورة أتيكية أخرى تظهر صورة جندي شاب متوفى يجلس على مقبرته، وهي محفوظة في المتحف القومي – أثينا، وترجع للربع الأخير من القرن الخامس ق.م.[(٣)]

أيضًا هناك بعض الصور التي تظهر فيها الأشباح حول مقابرها ومنها:

رسم فخارى (Askos)[(٤)] لشبح جندي على قبره، وهو محفوظ فى متحف الفنون الجميلة، بوسطن، ويرجع للفترة ما بين ٥٠٠ و ٤٩٠ ق.م. (شكل ٥)

وبالإضافة إلى شبح باتروكلوس، والذى صُوِّر كأنه حي يرزق، هناك أيضًا شبح البينور، والذي يجسد فى صورة (Pelike) كشخص على قيد الحياة إلى اليسار أمام أوديسيوس، ومن الناحية الأخرى يظهر هرميس، وهي محفوظة في متحف الفنون الجميلة بوسطن، وترجع لعام ٤٤٠ ق.م.[(٥)] (شكل ٦)

وهناك أيضًا عدة صور متشابهة تظهر فيها كليتمنسترا كأنها على قيد الحياة ومنها:

رسم فخاري (Krater) يظهر فيه أوريستيس يحاول الانتقام من قتل الإيرينيات لأمه كليتمنسترا في معبد دلفي، ويوجد كذلك أبوللو الذي يستدير بوجهه إلى إحدى الإيرينيات، وهو مكلل بزهور الغار، وفي

---

(1) http://www.Theoi.Com/Gallery/P21.3.html

(2) Aguirre (M.), op. cit., p. 185.

(٣) للوصف والتعليق على هذه الصورة انظر :
Osborne (R.), Archaic and Classical Greek Art, Oxford, (1998), pp. 193-195, cf. Also, Aguirre (M.), op. cit., p. 186.

(٤) Askos: نوع من الأواني الفخارية كان يستخدم لحفظ السوائل وخاصة الزيت ولكن بكميات قليلة جدًا

(5) Aguirre (M.), op. cit., p. 188.

الناحية الأخرى تقف الإلهة أثينا، وهى ترتدى خوذة، وفوقها شبح كليتمنسترا، وهو محفوظ في المتحف البريطاني – لندن، ويرجع للفترة ما بين ٣٥٠ – ٣٤٠ ق.م.(١) (شكل ٧)

وتوجد أيضًا صورة مشابهة يجلس فيها أوريستيس فى معبد دلفي مشهرًا سيفه، ويطهره الإله أبوللو الذي يحمل أزهار الغار في يده، ويظهر شبح كليتمنسترا، وكذلك الإيرينيات المجنحة، وهى محفوظة في متحف جامعة هارفارد للفنون – كمبردج – أمريكا، وترجع للفترة ما بين ٣٥٠ – ٣٤٠ ق.م، وهى صورة مركبة من عدة صور على مزهريات (Nestrois).(٢) (شكل ٨)

وهناك أيضًا رسم فخاري آخر (Krater) يظهر فيه الإله أبوللو يطهر أوريستيس في معبد دلفي، ويسعى أوريستيس للانتقام لمقتل أمه، ويجلس البطل على مذبح دلفي، ويطهره أبوللو بدم خنزير رضيع، وبجانبه تجلس أرتيميس، وعلى الجانب الآخر ثلاثة من الإيرينيات يناموا نومًا خفيفًا، ويحاول شبح كليتمنسترا أن يوقظهن، وهو محفوظ في متحف اللوفر – فرنسا، ويرجع للفترة ما بين ٣٨٠ – ٣٧٠ ق.م.(٣) (شكل ٩)

وكذلك تظهر الأشباح متجسدة في الكثير من الأعمال الأدبية اليونانية والرومانية:

فعندما حضر شبح باتروكلوس إلى أخيليوس كان مثل الأحياء في كل شئ (Hom. Iliad 23. 62-76).

ويروي بروبرتيوس (4-11-1) أن كينثيا عندما جاءت له بعد موتها كان شعرها وعيناها كما لو كانت على قيد الحياة، ولكن النيران حرقت إصبعها وشفتيها.

وفي الخطبة العاشرة لكوينتليانوس يظهر شبح ابن لأمه كما لو كان حيًا.

ويحكي لوكيانوس (Philops. 27) عن قصة رجل ظهر له شبح زوجته، وقد رآها بكامل هيئتها وبنيانها.

وعندما نتناول ظهور الأشباح التي تعود مرة أخرى نجد أن هذه الأشباح نسخة مشوهة ومخيفة من ذواتها السابقة على الأرض، ويرجع الشكل المخيف للأشباح إلى انعدام الدم، فيها وبسبب وطأة الأرض نفسها أيضاً.(٤).

وهناك صورة جدارية (fresco) تظهر فيها وجوه شبحية زرقاء تحملق بعيون مفتوحة ذاهلة، وفم مفتوح، وقرون تخرج من الرأس، وهي محفوظة في المتحف القومي للآثار – نابولي – إيطاليا، وعلى الرغم من أن تاريخها غير محدد إلا أنها ربما ترجع لفترة الإمبراطورية الرومانية.(٥) (شكل ١٠)

---

(1) http://www.Theoi.Com/Gallery/T40.7.html.

(2) http://www.Theoi.Com/Gallery/T40.2.html.

(3) http://www.Theoi.Com/Gallery/T40.6.html.

(4) Morley (L.), op, cit., p. 4.

(5) http://www.Theoi.Com/Gallery/f46.1.html.

ويصور بروبرتيوس (4.5.4) الأشباح كهياكل عظمية.

ويؤكد مورلي أن Larvae كانت تصور أيضًا على هيئة هياكل عظمية.(١)

ويشير لوكيانوس (Philops. 32) إلى أن الفيلسوف ديموكريتوس عندما قضى عدة ليالٍ في مقبرة طلبًا للراحة والسكينة والتأمل – لبس بعض الشباب ملابس تجعلهم يبدون كهياكل عظمية سوداء، وراحوا يرقصون من حوله ليظن أنهم أشباح، ولكنه لم يخف، وطلب منهم أن يكفوا عن هذه الأفعال الحمقاء.

وكانت الأشباح توصف قديمًا بأنها بيضاء، وأحيانًا سوداء، أو بلون الدخان مثل لون الحطب المحروق.(٢)

ونرى شبح باوسنياس (6. 6. 7-11) ذا هيئة سوداء، وهو كذلك عند لوكيانوس (- Philops. 30 32) في قصة الشبح الذي يسكن المنزل، وأيضًا يظهر شبح فليجون (Mir. 2 - 5 - 6) مرتديًا ملابس سوداء.(٣)

وأحيانًا يظهر الشبح مرتديًا ملابس بيضاء كما ورد عند بلينيوس الأصغر (7, 27, 13).

وفي مناسبات عديدة نرى لوكيانوس (De Luctu 9) يصور روح الرجل العادي في العالم السفلي كظل بدون جسد، سرعان ما يتلاشى كخيط دخان.

وأخيرًا لدينا رسم فخاري (Skyphos)(٤) مختلف للأشباح والأرواح، وتظهر فيه على شكل رأس الماعز إشارة إلى الخصوبة الطبيعية، وهو محفوظ في متحف الفنون الجميلة – بوسطن، ويرجع إلى عام ٤٥٠ ق.م.(٥) (شكل ١١)

نخلص مما سبق إلى توافق صور وأشكال الأرواح والأشباح في كل من الفن والأدب، وأن التصوير الأكثر شيوعًا كان على شكل وهوية مادية جسدية، سواء أكانت مجنحة أم غير مجنحة، وهي تظهر عادة بالقرب من أجسادها، أو بالقرب من قبورها.

المعتقد الديني والشعبي للأرواح والأشباح

ظل الموت يمثل المجهول الأعظم لدى الإغريق والرومان، ورغم ذلك كان للأحياء مشاعر متباينة تجاه الموت ، وكان الموتى يعيشون في ذاكرة وعقول من ظلوا على قيد الحياة، وكانت الشكوك تنطوي على آمال يشوبها الغموض بشأن الحياة بعد الموت، وما ينتظر الموتى من مستقبل مجهول .

---

(1) Morley (L.), op, cit., p. 4.

(2) Winkler (J.), op, cit., p. 161.

(3) Felton (D.), Haunted Greece and Rome Ghosts Stories From Classical Antiquity, Austin, (1999), pp. 14-15

(٤) Skyphos : نوع من الأواني الفخارية كان يستخدم لحفظ الخمور

(5) http://www.Theoi.Com/Gallery/T1-4.html

وعلى الرغم من اعتقاد القدماء على مر التاريخ بوجود حياة أخرى بعد الموت، إلا أنه كان هناك على الدوام تشتت حول صور هذا الوجود، ونوع الحياة التي يحياها الموتى في العالم الآخر .

ويرى البعض أن الروح تتلاشى مع الجسد عند الموت، وبالتالي لا يحدث انفصال للروح عن الجسد.(١)

ويؤكد لوكريتوس (Nat. 3. 323-8) أن الروح تظل في الجسد، وهي في حد ذاتها بمثابة حارس لهذا الجسد، ومصدر لسلامته؛ لأن الروح والجسد يعلقان معًا في جذور مشتركة، ولا ينفصلان مطلقًا، وكان هذا الفيلسوف الروماني يسير على نهج معلمه الإغريقي إبيقور في رؤيته عن الحياة بعد الموت.(٢)

وكان البعض الآخر يرى الموت على أنه انفصال الروح عن الجسد، ومنهم من يعتقد أن الروح تزول في الحال، ويرى آخرون أنها تبقى لفترة محدودة، وهناك من يرى أنها تظل موجودة للأبد.(٣) ويتفق ويتفق كل من بلوتارخوس وأفلاطون وسقراط على هذا الرأى.(٤)

ووفقًا للاعتقاد الإغريقي الأكثر شيوعًا فإنه عندما يموت الشخص تترك الروح الجسد، وتنطلق للعالم السفلي، وما أن تصبح في الهاديس لا يستطيع المتوفى العودة إلى عالم الأحياء، وهناك على الدوام انفصال شديد الوضوح بين عالم الموتى وعالم الأحياء، ولم يكن مسموحًا سوى لأبطال قليلين أمثال أوديسيوس وهيراكليس بالمرور عبر بوابات الهاديس ، وزيارة العالم السفلي أحياء.(٥)

وكان الرومان يعتقدون أن أرواحهم تعيش في القبر مع الجسد، ويؤكد كلٌ من فرجيليوس (Aen. III. 67) وأوفيديوس (Fasti 5. 45) وبلينيوس الأصغر (27-7) أن الروح تظل حبيسة في القبر.

---

(1) Cicero, Tusc. Disput. 1-9-18.

(٢) كان الخوف من الموت عظيمًا عند اليونان بما توارثوه من أساطير عن القدر الذي يبعث بالبشر عبثًا، وبما حشدت هذه الأساطير في العالم الآخر من حيوانات هائلة وعذاب أليم، ومن هذا المنطلق، أراد إبيقور أن يرفع عنهم هذا الكابوس؛ وكان في وسعه أن يُحوّل أنظارهم إلى النعيم الذي تحدث عنه أفلاطون، لكنه آثر أن يمحو الجنة والجحيم جميعًا بمذهبه في اللذة؛ لذا قال:
« إن الموت لا يعني شيئًا بالنسبة لنا، فالخير كله والشر جميعه يكمن في الحس ، لكن الموت حرمان من الحس، ومن هنا فإن الفهم الصحيح هو أن الموت لا يعني شيئًا بالنسبة لنا.» (أمل مبروك، فلسفة الموت « دراسة تحليلية » ، القاهرة ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، (٢٠٠٨)، ص ٧٣-٧٤).
c.f. also: Davies (J.), Death, Burial and Rebirth in the Religions of Antiquity Routledge, London, and New York, (1999), p. 130.

(3) Cicero, Tusc. Disput. 1-9-18.

(4) Plutarch, letter to Apollonius 36, Plato, Apology 40 C.
لمزيد من التفاصيل عن آراء الفلاسفة الإغريق والرومان حول الموت والحياة بعد الموت. انظر:
Davies (J.), Op. Cit., pp. 127-138, Warren (J.), Facing Death Epicurus and His Critics, Oxford, Oxford University Press, (2004).
وعن أهم الكتب التي تناولت معتقدات الرومان واتجاهاتهم حيال الحياة بعد الموت. انظر:
Cumont (F.), After Life in Roman Paganism, New Heaven: Yale University Press, (1922). Bremmer (J.), The Rise and Fall of the After Life, London and New York, Routledge, (2002).

(5) Aguirre (M.), op. cit., p. 179.
لمزيد من التفاصيل أنظر أيضًا : Johnston (S.I.), Religions of the Ancient World, Harvard, (2004)

ولأن إحراق جثث الموتى أصبح تدريجيًا يسبق الدفن ، فقد أخذت الفكرة شكلاً مفاده أن للروح وجودها وحياتها الخاصة المستقلة عن الجسد، وهو مكان مخصص لها في حفرة في باطن الأرض حيث تحيا حياة أبدية مع الأرواح الأخرى.(١)

ومهما كان مستوى تصديق أو تكذيب الفرد لا يمكن نسيان الموتى، وكانت الأسرة تكرم الأسلاف، وتعرض أقنعتهم خاصة في منازل الصفوة وفي الجنائز ، وهذا يدعم العلاقات الأسرية والروابط بين الأحياء والموتى، وكان الأحياء يزورون مقابر موتاهم، ويقيمون طقوسًا سنوية، ويعتقدون أن الموتى يشعرون بوجودهم، وبعضهم كان يفعل ذلك من قبل العادة.(٢)

ويشير أوفيديوس (Fasti 2.533-70) إلى أنه لابد من تقديم آيات التكريم للمقابر، والترويح عن أرواح الآباء بإحضار هدايا صغيرة للرفات، فالموتى لا يطلبون الكثير، وربما ترضيهم حفنة ذرة أو بعض حبات الملح والخبز المشرب بالخمر، وبعض زهور البنفسج.

ويخبرنا شيشرون (Tusc. Disp. 1-16) أن هناك اعتقادًا سائدًا بشكل عام بأن المؤن والطعام كانت تعد للموتى في كل المدن اللاتينية عن طريق حفرة أو خندق عميق في باطن الأرض، ويتم حفره قبل الإعداد للدفن، وكان بمثابة مدخل أو ممر خاص للعالم السفلي للموتى، وكانت تترك فتحة في هذا الخندق أو السرداب ليتم قفلها بعظام الشخص المتوفى، وتلقى الحبوب على هذه الفتحة، وفي ثلاثة أيام مقدسة من كل عام كان يفتح السرداب بحيث تكون للمتوفى حرية الحركة إلى عالم الأحياء حيث تقدم العطايا المخصصة له.(٣)

وهكذا تظل أرواح الموتى متعلقة ومرتبطة بالمدن التي ولدوا فيها، وعادة ما تزور المنازل القديمة، ويمكنها العودة إليها في الأيام التي تفتح فيها السراديب. وقد ترك رجال كثيرون مبالغ كبيرة من المال وهدايا لرفاقهم بهدف الاحتفال بذكراهم، وإقامة الموائد على مقابرهم .

ويشير فرجيليوس (Aen. X 519-520) ، ولوكيانوس (Charon, 22) إلى أن القدماء كانوا يريقون على القبور خمرًا ليرووا الموتى من العطش، ويضعون فيها أطعمة ليشبعوا جوعهم.(٤)

---

(1) Morley (L.), op, cit., p. 2.

(2) Hope (V.M.) Death in Ancient Rome a Source Book, USA and Canada, Routledge, (2007), p. 231.

(3) cf also: Ovid. Fast. iv 821, Fowler (W.W.): op. cit., p. 211.

(٤) تؤكد أيضًا شواهد القبور والنقوش على هذه العادة، فهناك شاهد قبر Marcus Valerius Celerinus يرجع للقرن الأول بعد الميلاد كولونيا – ألمانيا، وفيه يصف الرجل الذي تُحيا ذكراه جالسًا على أريكة وهناك مائدة ذات ثلاث قوائم أمام الأريكة وإلى الناحية اليمنى هناك جرة كبيرة وعند قوائم الأريكة تجلس زوجة الرجل على كرسي ذي ظهر مرتفع وهناك سلة صغيرة بها فاكهة وسلة أخرى كبيرة إلى جانب الكرسي وعلى رأس الأريكة يجلس شخص صغير السن قد يكون عبدًا ينتظر سيده وسيدته ويوحي شاهد القبر هذا على التفاعل بين الأحياء والأموات.

Galsterer (B.), Galsterer (H.), Die Romischen Steininschriften aüs koln Romische–Germanischen, Museum Koln Cologne, N. 219.

أيضًا يبدو هذا جليا في نقش Lucius Runnius Pollio ابن Gnaeus

« ما زلت أشرب في القبر، لأني سأبقى هنا إلى الأبد. »

وكانت تتهدد نابشي القبور اللعنة، وهناك اعتقاد مفاده أنه يجب بناء المقابر بجوار الطرق حتى يحظى الموتى بمؤانسة العابرين الذين يأخذون العبرة من المرور بجوار هذه المقابر .

ولقد أكد معظم النقاد والكتاب على وجود الأشباح:

فيرى نيت Knight أن الأشباح تعيش في المقابر أو بالقرب منها وتتنقل من مكان لآخر، ويؤكد أن الاعتقاد في وجود الأشباح كان موجودًا لدى الإغريق والرومان.(١)

ويقر مورلي أن الإغريق والرومان كانوا يؤمنون بوجود الأشباح، وكانت قصص الأشباح مشهورة وواسعة الانتشار، وكانوا يعتبرون الشبح شخصًا ميتًا ترجمه أو تلعنه قوى العالم السفلي، ويتواصل مع الأحياء على الأرض. كما يرى مورلي أن الاعتقاد في وجود الأشباح كان موجودًا حتى بين طبقة المتعلمين والمثقفين أمثال بلينيوس الأصغر وبلوتارخوس ولوكيانوس وبلاوتوس.(٢)

ويرى كلٌ من أجوري Augirre وفيرميولي Vermeule أن فكرة ظهور الأشباح مقبولة عند الإغريق والرومان، وهي تعود لزيارة الأحياء للتأكيد على وجودها في العالم السفلي.(٣)

ولقد وضع وانج (Wang) ما يسمى بنظرية الأشباح، وهي نظرية تدور حول الطبيعة الغامضة للشبح، وتؤكد أن الأشباح حقيقة لا ينكر أحد وجودها، ولكنها تقف في منطقة وسطى بين المادي والمعنوي(٤).

وإذا تحدثنا عن المعتقدات الشعبية الخاصة بالأشباح، يلاحظ أن بعضها اختفى وبعضها الآخر قائم حتى الآن، ومنها:

أن الأشخاص الذين بهم بقع أو نمش لا يستطيعون رؤية الأشباح، ولا يستطيعون أيضًا استحضار الأرواح، فهم ملوثون حتى تزول هذه البقع، ويذكر ذلك بلينيوس الأكبر في مواضع عديدة من كتابه التاريخ الطبيعي (N.H. 28-188).

ويرجع هذا النقش للقرن الأول بعد الميلاد – ناربون – فرنسا .

[يؤكد ثوكيديديس (II.34) على هذه العادة في مناسبات عديدة، بينما كان لوكيانوس يسخر منها كثيرًا (De Luctu 9)] .

(1) Knight (W.J.), The After-Life in Greek and Roman Antiquity Folklore, vol. 69, N. 4, (1958), pp. 36-37.

(2) Morley (L.), op, cit., p. 8-9.

(3) Aguirre (M.), op. cit., p. 187, Vermeule (E.), Aspects of Death in Early Greek Art and Poetry, Barkeley, (1979), p. 28.

(4) Wang (O.N.C.), Ghost Theory Studies in Romanticism Vol. 46, N. 2, Romanticism and the Legacies of Jacques, (2007), pp. 204, 205.

وهناك اعتقاد آخر بأن الحديد يحمي من الأشباح، حيث يشير لوكيانوس (15 ,Philops) إلى أن الأشباح تخاف من الضجيج الذي يحدثه الحديد والبرونز، وتصف الخطبة العاشرة لكوينتيليانوس الشبح الملتزم بقبره بسبب قضبان الحديد(1).

ويذكر باوسنياس (9.38,5) أن سكان مدينة أورخومينوس أوقفوا خطر شبح عن طريق حرق عظامه، وصنع تمثال برونزي اللون منها، وربط هذا التمثال بصخرة بالحديد.

أما بلينيوس الأصغر، فيصف في إحدى رسائله (7-27) الشبح الذي يتعذب في السلاسل الحديدية. كذلك كان هناك اعتقاد بأن الأشباح تسكن المفارق، وأركان المنازل، ولا يزال هذا الاعتقاد قائمًا حتى يومنا هذا.

كذلك كان يُعتقد أن الكلاب ترى الأشباح وهو اعتقاد شائع الانتشار، ويؤكد جاستر Gaster أن الحيوانات تتعرف على الأرواح والأشباح.(2)

ويذكر بلينيوس الأكبر (N.H.8,40-62) أنواعًا معينة من الكلاب ترى الأشباح، ولا يراها الإنسان بالطبع. وورد ذلك أيضًا عند ثيوكريتوس (2.35) ولوكيانوس (Philops. 22, 23, 27) .

وليست الكلاب هي الحيوانات الوحيدة التي يعتقد أنها ترى الأشباح حيث يؤكد باوسنياس أن الخيول أيضًا قادرة على ذلك (6.20.15-16) .

وتؤكد معظم القصص الشعبية أن الأشباح لا تتحدث حتى يوجه إليها الحديث، ولدينا إشارات عديدة تؤكد هذا الاعتقاد وردت عند أيسخيلوس (Persians 681 ff.) ولوكيانوس (6-413-830)(3).

وبالإضافة إلى المعتقدات السابقة هناك أيضًا معتقدات أخرى سنقوم بذكرها عند مناقشة قصة منزل الأشباح لبلاوتوس.

أسباب ظهور الأشباح:

تظهر الأشباح طلبًا للانتقام أو التحذير أو زيارة أحبائهم وذويهم، أو طلب العون والمساعدة، أو طلب إقامة طقوس الدفن السليمة، وكان الأخير الأكثر شيوعًا وانتشارًا في قصص الأشباح.

وكان الاعتقاد السائد أن الذين لم تُجر لهم طقوس الدفن لا يقبلون في العالم السفلي حتى تقام هذه الشعائر، وتظل أرواحهم معلقة بالبقعة التي تقع فيها أجسادهم، ويستطيعون التواصل مع الأحياء، وربما يشكلون خطرًا عليهم، وما إن تتم تلك الطقوس لا يعاود الشبح الظهور مرة أخرى . ويبدو ذلك واضحًا في شبح باتروكلوس الذي يطلب من أخيلليوس أن يقيم له شعائر الدفن حتى ينعم بالراحة والسكينة، ويلحق بعالم الأموات (Hom. Iliad. 23, 62-76) .

---

(1) Sussman (L.A.), The Major Declmation Ascribed to Quintilian, Studien zur Klassischen Philologie. Band 27. Frankfurt: Verlag Peter Lang, (1987), p. 129

(2) Gaster (T.H.), Myth, Legend and Custom in the Old Testament, 2 vol. Gloucester, Mass; Peter Smith, (1969), p. 309.

(3) Felton (D.), Haunted Greece and Rome, pp. 5-7.

ويشير باوسنياس (1-32,4-5) إلى أن الأشباح التي ظلت تسكن ميدان القتال بعد معركة مارثون هي أشباح الفرس الذين لم تقم لهم طقوس الدفن.

ويظهر شبح كينثيا لبروبرتيوس (4-7,1-34) في الحلم لتشكو له من أنها لم تقم لها طقوس دفن ملائمة، وتطلب معاملة جيدة لعبيدها ومزيدا من الاهتمام بقبرها، وشاهد قبر مناسبًا.

كذلك يظهر شبح كاليجولا بعد موته بفترة قصيرة، ويثير الرعب في قلوب حراسه؛ لأن جثته دفنت على عجل دون أن تقام لها طقوس الدفن السليمة، وعندما عادت شقيقته من المنفى، وأجرت له طقوس الدفن السليمة لم يظهر الشبح مرة أخرى (Suet. Otho 7)[١].

ويذكر لوكيانوس في عمله المسمى محب الأكاذيب Philopseudes (30-31) قصة منزل في مدينة كورينثا يسكنه شخص يدعى أيوباتديس، وقد لاذ بالفرار من هذا المنزل بعد أن طاردته الأشباح المخيفة، وقد استطاع أريجنوتوس مواجهة الشبح بمفرده حتى انطوى في ركن الحجرة، ثم اختفى، وذهب إلى أيوباتديس بما لديه من أخبار سارة، وأنه يستطيع العيش في المنزل بعد أن يتم تطهيره، وعندما ذهبوا إلى المنزل أرشدهم أريجنوتوس إلى المكان الذي اختفى فيه الشبح، وعندما حفروا ذلك المكان وجدوا بقايا عظام بشرية متعفنة، وعندما استخرجوها وقاموا بدفنها وفقا للشعائر والطقوس السليمة لم يظهر الشبح مرة أخرى.

ويقدم بلينيوس الأصغر أيضًا في إحدى رسائله (7,27,5-11) قصة شبيهة بقصة لوكيانوس حيث كان في أثينا منزل قديم، وعادة ما كان يسمع صوت سلاسل أو قيود حديدية يأتي من بعيد، ثم يقترب تدريجيًا حتى يظهر في النهاية شبح رجل عجوز ذو لحية طويلة موثقًا بالقيود، وأصبح المنزل مهجورًا، وعرض للبيع بثمن بخس، واشتراه الفيلسوف أثينودوروس، والذي ظهر له الشبح عدة مرات، وفي النهاية قرر الفيلسوف أن يتتبع الشبح فأمسك بمصباح، وسار وراءه، وتقدم الشبح حتى وصل إلى فضاء مفتوح في ردهة المنزل واختفى، وقام الفيلسوف بتحديد هذه المنطقة بالعشب وأوراق الشجر، وفي الصباح حفر هذا المكان وظهرت عظام رجل مغلول بسلاسل حديدية صدئة، وعندما دفن الرفات وفقا للشعائر والطقوس المعهودة لم يظهر الشبح بعد ذلك[٢].

ولا تعتبر المطالبة بإقامة الطقوس السليمة سببًا وحيدًا لجولات الشبح وتحركاته، فقد تظهر الأشباح للتحذير، وهناك قصة شهيرة عن الشاعر سيمونيديس الذي وجد جثة لشخص غير معروف على الشاطئ، وأقام لها مراسم الدفن، وبعد ذلك كان على وشك القيام برحلة بحرية، فظهر له شبح الرجل

---

(١) يشير فرجيليوس (Aen. VI. 505) إلى عادة استعمال الأضرحة الرمزية في حالة عدم العثور على جسد المتوفى وكان يتم احتفال تحاكى فيه تمام جميع طقوس الدفن لمزيد من التفاصيل عن قصة لوكيانوس انظر :
Averu (W.T.), Roman Ghost Writers, The Classical Journal, vol. 54, (1959), pp. 167-169.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الكتاب الرومان لقصص الأشباح انظر :
Avery (W.T.), Roman Ghost Writers, The Classical Journal, vol. 54, (1959), pp. 167-169.

الذي دفنه في الحلم، وحذره بألا يقدم على السفر لأنه إن أبحر لقي حتفه ، ومن أجل هذا عدل عن عزمه، أما الآخرون الذين أبحروا فقد لقوا حتفهم جميعاً[١].

وفي بعض الأحيان يظهر الأشباح الذين قتلوا بشكل عنيف، وذلك عندما يرغبون في معاقبة القتلى أو الانتقام منهم أو تحذيرهم[٢].

ونرى ذلك في قصة ثراسيللوس التي يرويها أبوليوس (*Met.Viii,4*)، حيث كان ثراسيللوس يحب زوجة صديقه؛ لذا قتله وسعى للزواج من الأرملة، ولكنها ترفض، ويظهر لها شبح زوجها في الحلم، ويطلب منها الانتقام له والأخذ بثأره ، وبالفعل تتظاهر بالموافقة على طلب ثراسيللوس، وفي ذات ليلة تنزع دبوسًا من شعره وتفقأ عينيه، ثم تنطلق إلى شوارع المدينة وفي يدها سيف، حتى تصل إلى قبر زوجها وتروي قصتها، ثم تذبح نفسها أما ثراسيللوس فيغلق قبرًا على نفسه، ويظل يتضور جوعًا حتى توافيه المنية .

وفي محاورة شيشرون عن العرافة De Divinatone يحكي قصة صديقين سارا من أركاديا حتى وصلا إلى ميجارا، وذهب أحدهما ليقيم مع حارس خان، وذهب الآخر للسكن مع أحد أصدقائه، وأثناء نومه حلم الرجل الذي كان يقيم مع صديقه برفيقه يطلب منه العون؛ لأن حارس الخان يعد العدة لقتله، ونهض مفزوعاً، لكنه عاود النوم مرة أخرى، وشاهد حلمًا آخر، وفيه يلح صديقه في طلب الانتقام له والأخذ بثأره؛ لأنه تقاعس عن نجدته، وقال شبح صديقه أن الحارس قتله، وبالفعل يقبض الصديق على الحارس قبل أن يهرب وينال عقابه.

وهناك قصة أخرى عن سيدة كانت ذات أصل رفيع، وكانت تحب باوسنياس حبًا جمًا، وفي ذات ليلة غافلت والديها وذهبت إلى حجرته ليلاً ، ولكنه ظن أن أحدًا يقتحم حجرته بهدف قتله، واستل سيفه وقتلها، بعد ذلك ظهر شبحها وأخبره أنه سيلقى حتفه قريبًا، وحدث ذلك بالفعل، وبذلك انتقمت لنفسها (Plut. Cimon. 6).

كذلك من الممكن أن تظهر الأشباح لرؤية وزيارة الأحباب، وأشهر القصص كانت في الخطبة العاشرة لكوينتيليانوس، حيث كانت إحدى الأمهات يضنيها الأسى على فقد ابنها، وفي ذات ليلة يظهر لها الابن في الحلم، ويقضي معها الليلة يقبلها ويأخذها بين ذراعيه كما لو كان حيًا، ولم يتركها إلا عند الفجر، وعندما يعلم الأب بذلك يستعين بأحد السحرة[٣]، والذي ينجح في غلق المقبرة وربط العظام إلى بعضها البعض بالحديد، ولم يظهر شبح الابن منذ ذلك الحين[٤].

---

(1) Cic. De Div. 1-27-56., CP. Val. Max., i.7, Libanius, iv. 1101.

(2) Aguirre (M.), Op. Cit., p. 180, Ogden (D.), Magic Witchcraft, P. 149.

(٣) هناك أيضًا العديد من القصص التي تبين دور السحر والسحرة في تلطيف حدة غضب الشبح ، فعلى سبيل المثال يشير سويتنيوس إلى أن نيرو كان مسكونًا بشبح أمه أجريبينا بعد أن قتلها، لذا أحضر بعض السحرة لاستحضار روحها وتلطيف حدة غضبها .
Suet. Nero 3; (cf. also: Tacitus Annals 13-2-3 and 8.
لمزيد من التفاصيل عن السحر والأشباح انظر :
Ogden (D.), Magic Witchcraft, pp. 149-151, Headlam (W.), Ghost Raising Magic and the Underworld I, the Classical Review Vol. 16, (1902), pp. 52-61

(4) Morley (L.), op. cit., p. 25.

وأخيرًا قد يكون ظهور الشبح لطلب العون أو المساعدة، ومن بين قصص لوكيانوس (Philops.27) هناك قصة مثيرة عن رجل يحب زوجته لدرجة الجنون، وتظهر له بعد موتها لمدة عشرين يومًا ، وكان قد أقام لها جنازة مهيبة، وحرق بعد موتها كل ما كانت تملك، وذات يوم وبينما كان يجلس ظهرت له، وما أن رآها أمامه حتى احتضنها والدمع يفيض من عينه، ثم أخبرته أنها جاءت لكي تعاقبه لأنه أهمل أو تناسى حرق إحدى زوجي نعلها الذهبي في الجنازة وبينت له أن النعل سقط خلف الصندوق ولم يُوضع على ركام الحطب المعد لإحراق الجثة، وأخبرته بمكان النعل، وقد أُحرق في اليوم التالي، ولم يعاود الشبح الظهور مرة أخرى.

أصول فكرة الشبح:

أما عن أصول فكرة الشبح ، فيلاحظ أن الشبح يظهر عند هيسيودوس في قصيدة التضحية بإفيميدي ابنة أجامنون وكليتمنسترا، والمقصود هنا التضحية بافيجينيا، ولكن الإلهة أرتميس أنقذتها، وارسلت شبحها بدلاً منها كي يتم التضحية به، وبذلك فإن شبح إفيميدي هو أول فكرة لظهور الشبح عند هيسيودوس.

أما عند هوميروس، فقد ظهرت فكرة الشبح مرتين الأولى في الإلياذة (*23,65-92*) عندما يظهر شبح باتروكلوس لأخيليوس في الحلم، والثانية في الأوديسية (*II.51–78*) عندما يقابل أوديسيوس شبح البينور في العالم السفلي.

أما شبح هيليني، فيظهر في مسرحية ليوربيديس تحمل اسمها، ويخبرنا فيها يوربيديس أن هيرا هي التي صنعت شبح هيليني كي تخدع الكساندروس (Hell, 41-44)، إلا أن أول ظهور لشبح هيليني كان عند ستسيخوروس[1].

وكان هناك اعتقاد بأن ساحات المعارك تسكنها الأشباح ويروي تاكيتوس (Hist.V-13) أن تيتوس أثناء حصاره لمدينة أورشليم كانت تُشاهد أشباح القتلى تحارب وكان يُسمع قرع السيوف من حين لآخر.

ويؤكد باوسنياس (I-32-4) أن المرء كان يسمع في سكون الليل صهيل الخيول وجنودًا يتقاتلون، وليس من صالح أي فرد أن يذهب إلى هناك لسماع تلك الأصوات.

وفي عمل فيلوستراتوس *Philostratus* المسمى البطولي *Heroicus* كان يظهر أيضًا شبح بروتيسيلاوس ورجاله الذين حاربوا حول طروادة ليلاً، وكان سكان هذه المدينة يرون هذه الأشباح، وكانوا يعتمدون على تفسير الأشياء وفقًا لشكل هذه الأشباح، فإذا كان هؤلاء الأبطال يغطيهم التراب فهذا يعني حدوث الجفاف، وإذا غطاهم العرق فهذا يعني هطول الأمطار، أما الدم على أيديهم فيعني حدوث الدمار والهلاك، وما عدا ذلك يكون الأمر خيراً[2].

(١) ستيسخورس: شاعر غنائي يوناني ولد في شمال إيطاليا بين أعوام ٦٣٢ – ٦٢٩ ق.م. ومات بين أعوام ٥٥٦ – ٥٥٣ ق.م وكان معاصرا لسافوا والكايوس وبقى لنا من أعماله حوالي اثنتا عشرة قصيدة نجد في معظمها تأثره الواضح بهوميروس وهيسيودوس.

(2) Morley (L.), op. cit, p. 14.

ويروي بلوتارخوس (Cimon. I) أنه في مدينة خايرونيا لقى شخص ما حتفه في إحدى الحمامات، وظلت الأشباح تظهر في هذا المكان بعد ذلك، وكانت تصدر أصواتًا مجهولة، وتخيل من يعيشون بجوار هذا المكان أنهم يرون أشكالاً غريبة، واستبد بهم الخوف من هذه الأصوات.

مسرحية منزل الأشباح بين المعتقد الشعبي والموروث الأدبى

تحكي المسرحية قصة الشاب فيلولاخيس، والذى استطاع في أثناء غياب أبيه أن يشترى عاهرته التي يحبها ويحررها، وقد اقترض هذا الشاب مبلغًا من المال من تاجر مراب ليدفع ثمن هذه الفتاة، وعندما يعود والده من الخارج ينسج العبد ترانيو خطة ماكرة لإبعاد الشيخ العجوز عن المنزل، وهنا يختلق قصة المنزل الذي تسكنه الأشباح ، حيث يخبر ترانيو الشيخ العجوز أن مضيفًا ذبح ضيفه منذ ستين عامًا، وسرق منه ذهبه بعد أن دفنه في مكان ما في المنزل، وقد ظهر شبح القتيل لابنه في الحلم، وأخبره أن هذا المنزل لا يصلح للسكن بعد أن لحقت به اللعنة؛ وذلك لأن المضيف قتله ووضعه في الثرى دون شعائر جنائزية سليمة، وينصح ترانيو الشيخ العجوز بالابتعاد عن المنزل، وأن يخبر المالك السابق للمنزل بهذه الجريمة، وعندما يواجه ثيوبروبيديس المالك السابق بهذا الأمر ينكره، وهكذا تنتقل بنا المسرحية من أكذوبة إلى أخرى حتى تكتشف الأكاذيب دفعة واحدة، وفي النهاية يصفح الشيخ العجوز عن ابنه وخادمه.

وعند تحليل المسرحية يلاحظ أن بلاوتوس كما سبق أن ذكرنا استخدم كلمة *Monstra* فقط للإشارة إلى الأشباح، ولم يستخدم أيًا من المفردات الأخرى التي استخدمها سابقوه ولاحقوه.

ولكن ماذا عن تصنيف الأشباح في المسرحية؟

هنا نعتمد على ما جاء على لسان الشبح نفسه في المسرحية حيث يقول : إنني فقدت حياتي قبل الأوان (البيت ٥٠٠) ويقول أيضًا: لقد ذبحني مضيفي (البيت ٥٠١) وأخيرًا يقول : هذا الوغد وضعني في الثرى سرًا دون شعائر جنائزية (البيت ٥٠٢).

ووفقًا للتصنيف اليوناني فقد خلط بلاوتوس هنا بين ثلاثة أنواع للأشباح Αωροι وهم من ماتوا قبل الأوان، Βῐαιοθάνᾰτοι وهم من ماتوا موتًا عنيفًا و Ατᾰφοι وهم الذين لم تُجر لهم طقوس الدفن .

أما بالنسبة للتصنيف الروماني ، فقصة المسرحية تدور حول أشباح المنزل، وهم من يطلق عليهم Larvae، ونجد في المسرحية أيضًا أن الضيف قُتل ودُفن دون شعائر جنائزية، وهو ما يندرج تحت الفئة التي يُطلق عليها *Lemures*، وهنا أيضًا خلط بلاوتوس بين النوعين السابقين.

وهكذا نستطيع القول أن بلاوتوس كان على دراية تامة بالتصنيفات المختلفة للأشباح، واستخدمها جميعًا للإشارة إلى شبح واحد، ولكنه لم يستخدم أيًا من المصطلحات السابقة اليونانية أو اللاتينية، واكتفى فقط بالإشارة إليهم بكلمة (*Monstra*).

ولم يكن بلاوتوس موفقًا في اختيار اسم الشبح،[١] والذي أطلق عليه (*Diapontius*)، ووصفه بأنه « من وراء البحار » (*Transmarius*)، وهكذا فإن اسم ووصف الشبح يثير في حقيقة الأمر فكرة أو صورة البحر، وهذا يتناقض مع تصنيف الشبح السابق ذكره.

أما عن شكل الشبح في المسرحية، فيلاحظ أن الشبح لم يظهر على المسرح، ولكن يخبرنا ترانيو أنه ظهر لفيلولاخيس في الحلم، وأخبره باسمه والجريمة التي اقتُرفت في حقه، ولكن إذا اضطر بلاوتوس إلى تقديم الشبح على المسرح فماذا تكون هيئته؟

من الجدير بالذكر أن الأشباح تظهر في الدراما كشخصيات ، وكانت Larvae بمثابة شخصيات مألوفة في الكوميديا الاتيلانية في روما، حيث كانوا يؤدون رقصات الموتى[٢].

ولذا إذا دعت الضرورة لظهور الشبح في المسرحية، فغالبًا ما كان يظهر كشخص عادي، وكان هذا الشكل الأكثر شيوعًا في معظم الأعمال الدرامية والفنية كما ذكرنا آنفًا.

وفي مسرحية منزل الأشباح لبلاوتوس لا يختلف سبب ظهور الشبح كثيرًا عن قصص الأشباح سالفة الذكر ، فالشبح يظهر في المسرحية مطالبًا بإقامة طقوس وشعائر الدفن السليمة (البيت ٥٠١) ، والانتقام من قاتله الذي ذبحه من أجل الاستيلاء على الذهب (البيت ٥٠٢) .

وهكذا يتضح أن سبب ظهور الشبح في مسرحية بلاوتوس متسق ومتوافق مع قصص الأشباح المختلفة، ومن ثم فقد كان بلاوتوس على دراية تامة بمعظم قصص الأشباح والأسباب المختلفة لظهور الأشباح.

نقطة أخرى نود الحديث عنها وهي تأثر مسرحية منزل الأشباح بالتراجيديا، وهنا يؤكد زيجلير Ziegler أن بلاوتوس قد تأثر كثيرًا بمسرحيتي هيكابي ليوريبيديس وإليونا لباكيفيوس[٣].

وفي المسرحية الأولى يلقي شبح بوليدوريوس البرولوج، ويخبرنا فيه أنه قد أتى إلى معسكر الإغريق ليبلغ أمه هيكابي عن المصير الذي آل إليه، إذ يخبرها أنه قُتِل على يد الشخص الذي حلَّ ضيفًا عليه وهو بوليميستور، والذي استولى على ما لديه من ذهب، ويطلب من أمه أن تقيم له شعائر الدفن حتى تنعم روحه بالهدوء والسكينة ويلحق بعالم الأموات (الأبيات ٢٥ – ٣٠).

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أسماء الأشباح انظر:

Youtie (L.C.), Ghost Names, Zeitschrift für Papyrologie ünd Epigraphic 11, (1973), pp. 271-273.
Clarysse (W.), Forgeries and Ghost Names, Zeitschrift für Papyrologie ünd Epigraphik 40, (1980), pp. 76-77

(2) Morley (L.), Op, Cit., p. 4

(3) Ziegler (N.E.), Dreams in Plautine Comedy, Master's Theis, University of North Carolina at Chapel Hill, (1982), pp. 14, 26.

يؤكد أيضًا والاش Wallach أن الشبح في مسرحية إليونا لباكفيوس هو في الحقيقة شبح ديفيلوس Deiphilus ، ويؤكد شيشرون على هذا الرأي (Tusc. Disput. 145)

Wallach (B.P.), Deiphilus or Polydorus? The Ghost in Pacuvius Iliona, Mnemosyne, Fouth Series, Vol. 32, (1979), pp. 138-160

والمسرحية الثانية هي بالأساس قصة بوليدوريوس مع بعض التغييرات الطفيفة، حيث نرى إليونا شقيقة بوليدوريوس تستبدل ابنها ديفيلوس ببوليدوريوس؛ لأن زوجها بوليميستور قتل ديفيلوس خطأ، ويتوسل شبح ديفيلوس لأمه أن تقيم له شعائر الدفن، ويظهر لها أثناء نومها، بينما يظهر شبح بوليدوريوس في مسرحية يوريبيديس متجسدًا على المسرح.

وبالإضافة إلى تشابه الفكرة والموضوع، نجد هناك أيضًا تشابهًا بين العديد من العبارات في مسرحية بلاوتوس ومسرحيتي يوريبيديس وباكيفيوس(١).

وفي مسرحية منزل الأشباح نرى ترانيو على شاكلة أبطال التراجيديا، يحاول أن يبعث الخوف في نفوس المشاهدين، حيث يجعل الشبح أكثر فعالية وتأثيرًا، وذلك من خلال الإشارة المتكررة للشبح بكلمة *mortuus*، وتحمل هذه الكلمة أيضًا تهديدًا ضمنيًا لثيوروبيديس، فقد ينتهي به الحال مثل ديابونتيوس إن لم يكن حذرًا(٢).

وقد أجرى بلاوتوس بعض التغييرات على قصتي يوريبيديس وباكيفيوس، فاستبدل شبح بوليدوريوس بديابونتيوس، وهو تاجر بسيط، وحول القصة من قصة أسطورية بطولية إلى قصة تتكرر في الحياة اليومية، ونقل أحداث المسرحية من المعسكر الإغريقي كما ورد عند يوريبيديس أو القصر الملكي كما ورد عند باكيفيوس إلى منزل في أثينا، وهكذا فقد حاول بلاوتوس أن يعمل على إبعاد القصة من الماضي الأسطوري إلى منطقة تحظى بالقبول والتصديق في الحياة المعاصرة(٣).

وطبقًا للمعتقد الشعبي، فإنه عادة ما يظهر الشبح بالقرب من المكان الذي قتل ودفن فيه، ويرغب في توجيه الشخص الذي يظهر له إلى مكان دفنه، حتى يتسنى له مساعدته ودفنه مرة أخرى وفقا للشعائر الجنائزية السليمة، وكانت هذه السمة السائدة في معظم قصص منازل الأشباح بما فيها قصة بلاوتوس (الأبيات ٤٩٠ – ٥٠٠)(٤).

---

(١) على سبيل المثال تتشابه عبارة necavit me hospes عند بلاوتوس (البيت ٥٠٠) مع عبارة ξένος πτρῷος .. κτείνει με عند يوريبيديس (الأبيات ٢٥–٣٠) وتعبر كلتا الفقرتين عن فكرة قتل الضيف. وتتشابه أيضًا عبارة auri...causa مع عبارة χάριν .. τχρμσοῦ وكلمة insepultum مع كلمة ἄταφος .
Felton (D.), Folkolric Anomalies, pp. 127-128.

(2) Idem, Haunted Greece and Rome, p. 54.

(٣) تلعب الأشباح دورًا مهمًا في بعض الأعمال التراجيدية الإغريقية إذ يستلهم الكتاب روح هوميروس ويستخدمون الأشباح كشخصيات درامية:
Bardel (R.), Spectral Traces: Ghosts in Tragic Fragments in Mc Hardy F. Robson, J., Harvery, D. Lost Dramas of Classical Athens, Exeter, (2005), pp. 83-112, Hickman (R.B.), Ghostly Etiquette on the Classical Stage, Iowa, (1938), Rose (H.J.), Ghost Ritual in Aeschylus, The Harvard Theological Review, Vol. 43, (1950), pp. 257-280

(4) Aguirre (M.), op. cit, p. 187, Vermeule (E.), op. cit, p. 31.
يشير سقراط إلى أن الأرواح التي تحوم حول المقابر هي ليست أرواح الأخيار ولكنها أرواح شريرة أو أشباح ترغم على التجول في الأماكن المختلفة حتى تسجن مرة أخرى في سجن البدن وهي تخص من ماتوا قبل الأوان ويعاودون الرجوع للحياة لاستكمال دورتها وكذلك أرواح من لم تقم لهم طقوس الدفن السليمة (Plato. Phaedo 81c-d); Ogden (D.), op. cit, p. 147.

وهناك اعتقاد لا يزال موجودا منذ القدم حتى يومنا هذا مفاده أن الأشباح عادة تظهر في منتصف الليل، ونادرًا ما تظهر في وضح النهار ، وعلى الرغم من أن غالبية الأشباح عند اليونان والرومان تظهر في سكون الليل إلا أن هناك بعضًا منها يظهر في وضح النهار مثل شبح أبوليوس (Met.,9, 29-30) وشبح فليجون (Mir., 3-4).

إلا أن معظم الأشباح في قصص منازل الأشباح تظهر في سكون الليل كما في قصتي لوكيانوس وبلينيوس الأصغر ، فالظلام دائمًا يوحي بالموت والأحلام(١).

ويبدو ذلك جليا عند بلاوتوس، فالشبح في قصته يظهر في سكون الليل. (البيت ٤٨٦)

ومما لا شك فيه أن هناك اختلافًا بين طباع الأشباح، ففي حين أن شبح باتروكلوس لا ضرر ولا خوف منه عندما يتحدث إلى صديقه أخيليوس، فإن شبح لوكيانوس الذي لم يدفن والذي لقي حتفه بطريقة عنيفة يسكن المنزل ويهاجم أي شخص يحاول أن يسكنه ، كذلك أيضًا شبح بلينيوس الأصغر، ولا يختلف الأمر كثيرًا عند بلاوتوس فالشبح في قصته يهاجم أيضًا كل من يقترب من المنزل، ويؤكد على ذلك ترانيو بقوله أنه مرت سبعة شهور دون أن تطأ قدم شخص هذا المنزل (البيت ٤٧٠).

وهكذا يتضح مدى توافق قصة بلاوتوس مع المعتقدات الشعبية السائدة آنذاك، وعلى الرغم من ذلك كانت هناك بعض الثغرات، أو نقاط الضعف أو الخروج عن المألوف الفولكلوري والمعتقد الشعبي، فعلى سبيل المثال، يوضح ترانيو أن فيلولاخيس حلم بالشبح عندما غشيه النوم، وأضواء المصابيح مضاءة، وفي قصص لوكيانوس وبلينيوس الأصغر وفليجون كان المصباح مضاءً أيضًا، وهذا يؤكد أن المصباح المضاء ضروري لظهور الشبح .

ويشير أوجدين إلى أنه في كتب السحر المصرية كان المصباح ضروريًا لظهور الأشباح(٢).

وكان هناك اعتقاد سائد أن الأشباح تسكن المنازل، وتهيم فيها، وتنجذب للأضواء؛ لأنها تنير لهم الطريق، ولم يكن هناك اعتقاد بأن الأشباح تكره النور والضوء ، كما هو سائد هذه الأيام ، حيث يعتقد أن الأنوار تجعل الأشباح تغادر المكان(٣) .

وكانت الأشباح كما ذُكر فيما سبق توصف بأنها بيضاء وأحيانًا سوداء أو بلون الدخان، أو تتجسد على هيئة شخص وكأنه حيٌ يرزق، ومن ثم تظهر هذه الصور السابقة عندما يكون الشبح متجسدًا وليس في الحلم، وليس هناك ارتباط بين ظهور الشبح في الحلم والمصابيح المضاءة، وهكذا فقد خلط بلاوتوس بين نوعين مختلفين من قصص الأشباح، الأول: الأشباح التي تظهر متجسدة وتحتاج للضوء، والثاني: الأشباح التي تظهر في الحلم والتي – بالطبع – لا تحتاج للضوء(٤).

---

(1) Felton (D.), Haunted Greece and Rome, pp. 6-7.

(2) Ogden (D.), Magic Witchcraft, p. 155.

(3) Winkler (J.), op, cit, pp. 155-181.

(4) Felton (D.)., Folkoloric Anomalies, p. 132.

ويرجع الرعب أو الخوف من الأشباح إلى ظهورها متجسدة، ولكن عندما تظهر في الأحلام يكون الوضع مختلفًا، فلقد كانت الأشباح تأتي في الأحلام بهدف التحذير أو النصح أو طلب العون والمساعدة، ولم تكن ترتبط بالمكان الذي لقيت فيه هذه الأشباح حتفها، ولم تكن تشكل تهديدًا لسلامة سكان المكان، ولم تكن تدعي حقوق ملكية المنزل كما يفعل شبح ديابونتيوس، ويعد هذا خروجا عن النمط التقليدي لقصص منازل الأشباح.

ويلاحظ أيضًا أن الأشباح المتجسدة لا تتحدث حتى يوجه إليها الحديث ، بينما الأشباح التي تظهر في الحلم تتحدث دون الحاجة إلى ذلك، كما حدث في قصة بلاوتوس (الأبيات ٤٩٠ – ٥٠٠) والعديد من قصص الأشباح سالفة الذكر.

كذلك كان القرع على الباب، والذي يفترض أنه يزعج الشبح معروفا في الكوميديا الباليانا *Palliata*، ويستخدمه بلاوتوس هنا لإحداث نوع مختلف من التأثير، ففي البداية نرى ترانيو يشوش على تفكير ثيوبروبيديس، ويحذره بألا يقرع الباب أو حتى يلمسه؛ لأن ذلك قد يزعج الشبح (الأبيات ٤٤٥–٤٦٢)[1].

ويحاول ترانيو العزف على وتر طبيعة ثيوبروبيديس التي تجنح إلى الإيمان بالخرافات، حين يخبره أن ملامسة باب المنزل الذي يفترض أن الأشباح تسكنه أكثر شبهًا بارتكاب جريمة، وهو فعل مقيت وآثم (الأبيات ٤٦٣–٤٦٥) .

وعندما يبدأ فيلولاخيس وأصدقاؤه داخل المنزل في إثارة الضجيج تكون هذه نهاية خديعة ترانيو (الأبيات ٥١٠ وما بعدها). وهنا يقول ترانيو أن الشبح قد عاد مرة ثانية، وهذا يوحي بأن الشبح رغم ظهوره في الحلم يتجسد في صورة شخص، وتؤكد فيلتون أن ذلك تسبب في ارتباك ثيوبروبيديس، وربما ارتباك المشاهدين أيضًا، وذلك لأن الأشباح التي تظهر في الحلم لا تتجسد[2].

وعلى الرغم من أننا نتفق مع رأي فيلتون في أن الشبح عندما يظهر في الحلم لا يتجسد في صورة إلا أننا لا نتفق معها في أن القرع على الباب دليل على تجسيد الشبح، وذلك لأن قرع الباب يقدم تأكيدًا للأصوات التي يحدثها الشبح، وليس تأكيدًا لظهوره المادى، وما يدعم هذا الرأي أننا لا نجد أى وصف مادي للشبح عند بلاوتوس.

على أية حال عندما يجد ثيوبروبيديس أن العبدين بيناكيوم وفانيسكوس يقرعان على باب المنزل الذي يفترض أن تسكنه الأشباح يكتشف الخديعة (الأبيات ٩٣٥ وما يليها)[3].

---

(1) Wright (J.), Dancing in Chanins: The Stylistic Unity of the Comoedia Palliata Rome, (1974), pp. 64-65.

(2) Felton (D.), Folkolric Annomalies, p. 138.

(3) Sutton (D.F.), Ancient Comedy, The War of The Generations, New York, (1993), p. 74.

نقطة أخرى نود الحديث عنها ، ففي البيت (٤٦٨) يحذر ترانيو سيده ثيوبروبيديس بألا يلمس باب المنزل بل يلمس الأرض، وهنا يشير أوجدين إلى أن لمس الأرض يطهر المرء من مس الشبح وكان ذلك يحدث عندما يتلبس المرء روح شريرة(١).

ونحن هنا نشك كثيرًا في ملاحظة أوجدين السابقة، حيث إننا ليس لدينا دليل من قصص الأشباح أو المعتقدات الشعبية يؤكد أن لمس الأرض يطهر المرء من مس الشبح، وتعد هذه إحدى نقاط الضعف في قصة ترانيو التي اختلقها على عجل.

ونرى أيضًا في قصص منازل الأشباح الحاجة إلى ظهور رجل شجاع مثقف يحل معضلة الشبح، وتظهر هذه الشخصية في قصة بلينيوس الأصغر متمثلة في شخصية الفيلسوف أثينودوروس وشخصية أريجنوتوس في قصة لوكيانوس بينما لا يتسنى ذلك لبلاوتوس في مسرحية منزل الأشباح، فلم يكن ثيوبروبيديس ذلك الشخص الشجاع الذي يستطيع أن يواجه الشبح، بل كان طوال أحداث المسرحية شخصًا جبانًا سهل الانخداع والانقياد.

أما فيما يتعلق بسيمو المالك السابق للمنزل، فهو حي يرزق وينعم بالصحة والعافية، ولا يزال يقطن المنزل المجاور، ولا شك أن الخطر يتمثل في أن ثيوبروبيديس قد تحدث معه بالفعل (الأبيات ٥٤٧ – ٥٤٩)، وهذا دون شك يقضي على خطة ترانيو (البيت ٥٥٠)، ويجب على ترانيو وهو يستعرض قدراته البلاغية إقناع ثيوبروبيديس بأن سيمو شخص كذاب، ولن يعترف أبدًا بارتكاب جريمة قتل (الأبيات ٥٥٤ – ٥٥٩)، ولكن ثيوبروبيديس لا يمكن أن يقتنع بسهولة، وبذلك تصعب مهمة ترانيو، لكن من حسن الحظ أن هذه المحادثة المهمة تتوقف، ومن الغرابة بمكان أن موضوع المالك السابق للمنزل لم يُذكر في باقي أحداث المسرحية.

وهناك نقطة أخرى تتعلق بعمر المالك السابق للمنزل حيث يذكر ترانيو أن الجريمة وقعت منذ ستين عامًا، وهذا يدل على أن المالك السابق للمنزل يكون عمره على الأقل ثمانين عامًا، وهذا احتمال بعيد، وكان لابد أن يثير اهتمام ثيوبروبيديس. حيث إن عمر الشيخ العجوز في معظم مسرحيات الكوميديا الرومانية كما يؤكد دكوورث كان في الخمسينات أو بداية الستينات(٢).

ولم تكن نهاية قصة شبح بلاوتوس مثل النهايات التقليدية لقصص منازل الأشباح، حيث ما إن يتم معرفة مكان الجثة المدفونة في المنزل، ويتحتم دفنها بطريقة شرعية حتى تنعم الروح المضطربة بالسكينة والهدوء، ويتم تطهير المنزل كما حدث في قصص بلينيوس الأصغر (7, 27, 5-11) ولوكيانوس (Philops. 30-31) وسويتنيوس (Caligula, 59) وبلوتارخوس (Cimon, 1-6) وباوسنياس (6, 6-7). وهذا ينهي مسألة ظهور الشبح نهائيًا.

---

(1) Ogden (D.), Magic Witchcraft, p. 157.

(2) Duckworth (G.E.), The Nature of Roman Comedy, Princeton, New Jersy, (1952), p. 243.

ويوضح راديرماشير Radermacher أن بلاوتوس كان دون شك يعرف النهاية التقليدية لقصص منازل الأشباح، فكان بمقدوره ألا يجعل ترانيو يقول أن جثة القتيل مدفونة في المنزل، وبالتالي كان يزيل هذا الارتباك بسهولة(١).

وتكمن المشكلة هنا في أن الشبح لم يتجسد في المسرحية ليدل على مكان الجثة كما في قصص الأشباح آنفة الذكر، وبالتالي لن يستطيع ثيوبروبيديس تطهير المنزل، وكان عليه التفكير في طريقة أخرى للتطهير حتى ينصرف الشبح، ولكنه لم يفعل ذلك.

وهنا يشير أوفيديوس (5.433) إلى طريقة أخرى لتطهير المنزل الذي تسكنه الأشباح، والتي كانت تحدث عادة في احتفالات *Lemuria* أو *Lemuralia*(٢).

وهكذا فقد أغفلت النهاية المتعجلة لقصة بلاوتوس كلا الطريقتين السابقتين لتطهير المنزل، وكان هذا نتيجة طبيعية للضغط النفسى الذى مارسه ترانيو على ثيوبروبيديس، والذي لم يدع له أي فرصة للتفكير.

ومما لا شك فيه أن ترانيو كان يبحث عن خطة ما قبل نسجه هذه القصة، بحيث يمنع الشيخ العجوز من دخول المنزل، بل وجعله يلوذ بالفرار جزعاً وخوفاً، وهذا يبدو جلّياً فى الأبيات (٣٨٨ـ ٣٩١) و (٤٢٢ـ٤٢٥). ويرى و 'يند *Wiend*' أن نجاح قصة ترانيو يرجع لمهارته وقدرته الفائقة على المراوغة. (٣)

بينما يؤكد سوتون أن نجاح قصة ترانيو على الرغم من وجود بعض الثغرات وعدم الاتساق لا يرجع لمهارته وقدرته، بل يرجع إلى غباء وحماقة ثيوبروبيديس كشخص يؤمن بالخرافات، ولم تكن القصة لتنجح من البداية ما لم يستمع ثيوبروبيديس لقصة ترتبط بمنزله(٤).

ولا يختلف رأي دكوورث عن سوتون كثيرًا، ويؤكد أن ثيوبروبيديس قد يكون المثال الأبرز لشخصية الأب المنخدع عند بلاوتوس، وذلك لأن ترانيو يستحوذ عليه تمامًا بهذه القصة(٥).

وهكذا يتضح أن ترانيو قد اختلق هذه القصة على عجل وفي غمضة عين، ومن ثم فقد ترك ثغرات وعدم اتساق في قصته رآها البعض نقاط ضعف، أو خروجًا عن المألوف الفولكلورى، إلا أننا في النهاية نستطيع القول أن

---

(1) Radermacher (L.), Aus Lucian Lügenfreund in Festschrift T. Heoder Comperz Dargebracht Zum Siebzigsten Geburstage am 29 Marz, Vienna, (1979), p. 106.

(٢) يشير أوفيديوس إلى أن رب العائلة كان يتجول في المنزل المسكون حافي القدمين في سكون الليل، ويؤدي إشارة غامضة بإصبعيه الأول والرابع، ويمرر إصبع الإبهام عليهما، ثم يغسل يديه ويلقي حبات سوداء على كتفيه مرددًا: "بهذه الحبات أفتدي نفسي"، ويكررها تسع مرات دون توقف، ثم يغتسل مرة أخرى، ويطلب من الشبح مغادرة المنزل، ويكرر ذلك تسع مرات، وبنهاية هذا الطقس تغادر الأشباح المنزل وتبقى بعيدة عنه لمدة عام.

(3) Wieand (H.E.), Deception in Plautus: A Study in The Technique of Roman Comedy, Boston, (1920), p. 113.

(4) Sutton (D.F.), op. cit., p. 76.

(5) Duckworth (G.E.), op. cit., p. 245.

بلاوتوس كان يعي جيدا هذه الثغرات، واستخدمها كأدوات درامية في مسرحيته؛ ليبين عدم قدرة ترانيو على نسج قصة الشبح.

وعلى الرغم من أن مسرحية منزل الأشباح كانت في مجملها للتسلية والفكاهة، إلا أن بلاوتوس نجح في خلق جوٍ من الرعب والغموض، وفي الوقت نفسه كان بلاوتوس مرآة عصره وعكس مدى اعتقاد مواطنيه بوجود الأشباح.

لذا فقد لاقت مسرحيته نجاحًا منقطع النظير عند عرضها على المسرح، واحتلت قصته مكانة متميزة بين أهم قصص منازل الأشباح في الأعمال الأدبية اليونانية والرومانية(١).

إجمالاً لما سبق فقد خلص البحث إلى أن بلاوتوس كان على دراية تامة بالتصنيفات المختلفة للأشباح، واستخدمها جميعًا للإشارة إلى شبح واحد، ولكنه لم يستخدم أيًا من المصطلحات اليونانية أو اللاتينية، واكتفى فقط بالإشارة إليها بكلمة (*Monstra*) ، وكان سبب ظهور الشبح في مسرحيته متسقًا ومتوافقًا مع قصص الأشباح المختلفة مما يؤكد أنه كان على علم بمعظم قصص الأشباح والأسباب المختلفة لظهورها. كما وضح مدى توافق قصة بلاوتوس مع بعض المعتقدات الشعبية السائدة آنذاك. ونتيجة لأن ترانيو اختلق قصة الشبح على عجل، فقد كانت هناك ثغرات أو خروج عن المألوف الفلكلوري والمعتقد الشعبي، إلا أننا نستطيع القول أن بلاوتوس كان يعي جيدا هذه الثغرات، واستخدمها كأدوات درامية في قصته ليبين عدم قدرة ترانيو على نسج قصة الشبح ، كذلك يخالف البحث رأي كل من فيلتون فيما يخص القرع على الباب، ورأي أوجدين فيما يخص لمس الأرض.

حاتم ربيع

٠١١١٣٤١١٤٢٠

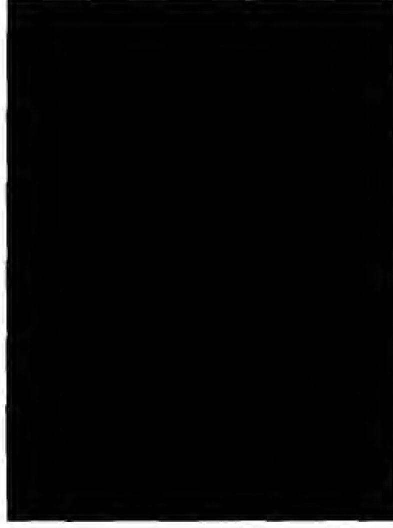
Dr.hatemaboelnile@gmail

(١) أكد معظم النقاد أمثال ناردي Nardi وكولارت Collart وراديرماشير أن أهم قصص الأشباح بشكل عام وقصص منازل الأشباح بشكل خاص هي على الترتيب قصص لوكيانوس وبلينيوس الأصغر وبلاوتوس.

Nardi (E.), Case Infestate de Spiriti e Diritto Romano e Moderno, Milano, (1960) , p. 99.; Collart (J.), T. Maccius Plautus, Mostellaria, Paris, (1970), p. 17., Radermarcher (L.), op. cit., p. 206.

رابعًا: الصـور:

شكل (١)



المتحف: متحف أشموليان / إكسفورد — النوع: *lekythos* بأرضية بيضـاء

التاريخ: القرن الخامس ق.م — المحتوى: خيرون على قاربه بجوار روح صـغيرة مجنحة .

شكل (٢)



المتحف: متحف إنطاكيا / تركيا — رقم الكتالوج: *Antakya 846*

النوع: *Mosaic* — التاريخ: القرن الثالث الميلادى.

الفترة: الإمبراطورية الرومانية — المحتوى: الإله المجنح إيروس يقف على جناحي بسيخي وهيدونى.

شكل (٣)



المتحف: متحف *Badishes Landesumuseum* – ألمانيا رقم الكتالوج : *TBA*

النوع: *Krater* رسم باللون الأحمر التاريخ: ٣٤٠ ق.م

الفترة: الكلاسيكية المتأخرة المحتوى: اثنين من الأيرينيات إحداهما مجنحة.

شكل (٤)



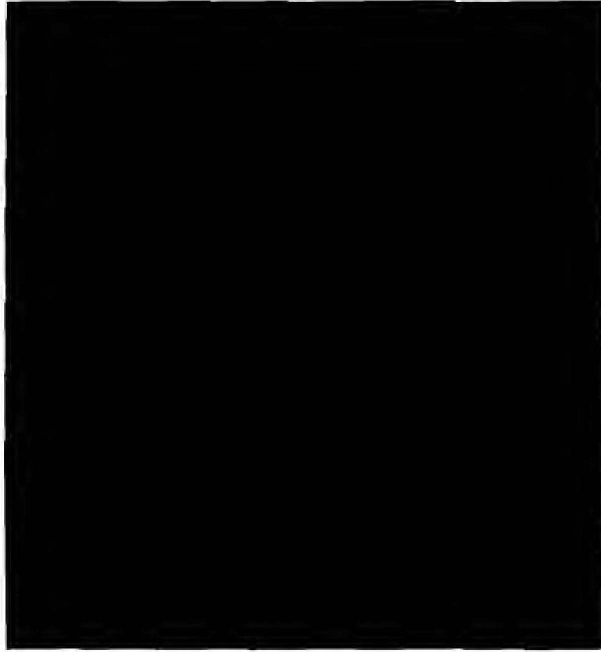
المتحف : متحف الفنون الجميلة – بوسطن – أمريكا

رقم الكتالوج : *Boston 63-473* النوع : *Hydria* رسم باللون الأسود

التاريخ : الفترة ما بين ٥٢٠- ٥١٠ ق.م الفترة : الأرخيـة

المحتوى : أخيلليوس يشد جسد هيكتور حول مقبرة باتروكلوس الذي وصفت روحه كشاب مجنح.

شكل (٥)



المتحف: متحف الفنون الجميلة / بوسطن / أمريكا
النوع: *Askos* رسم باللون الأحمر
التاريخ: الفترة ما بين ٥٠٠ و ٤٩٠ ق.م.
المحتوى: شبح جندي على مقبرته.

شكل (٦)



المتحف : متحف الفنون الجميلة / بوسطن / أمريكا
النوع : *Pelike* صورة باللون الأحمر
التاريخ : ٤٤٠ ق.م
المحتوى : شبح البينور .

شكل (٧)



المتحف: المتحف البريطانى / لندن

رقم الكتالوج : *London 1917 12-10-1*

النوع: *Krater* رسم باللون الأحمر

التاريخ: الفترة ما بين ٣٥٠ – ٣٤٠ ق.م

الفترة: الكلاسيكية المتأخرة

المحتوى: شبح كليتمنسترا.

شكل (٨)



المتحف : متحف جامعة هارفارد للفنون – كمبريدج – أمريكا

رقم الكتالوج : *Harvard 1960 367*

النوع : *Nestoris* صورة باللون الأحمر

التاريخ : الفترة ما بين ٣٥٠ – ٣٤٠ ق.م

الفترة : الكلاسيكية المتأخرة المحتوى : شبح كليتمنسترا

شكل (٩)



المتحف: متحف اللوفر / باريس / فرنسا

النوع: *Kater* رسم باللون الأحمر

الفترة: الكلاسيكية المتأخرة

رقم الكتالوج: *TBA*

التاريخ: الفترة ما بين ٣٨٠ – ٣٧٠ ق.م

المحتوى: شبح كليتمنسترا

شكل (١٠)



المتحف: المتحف القومي للآثار / نابولي / إيطاليا

النوع: *Fresco*

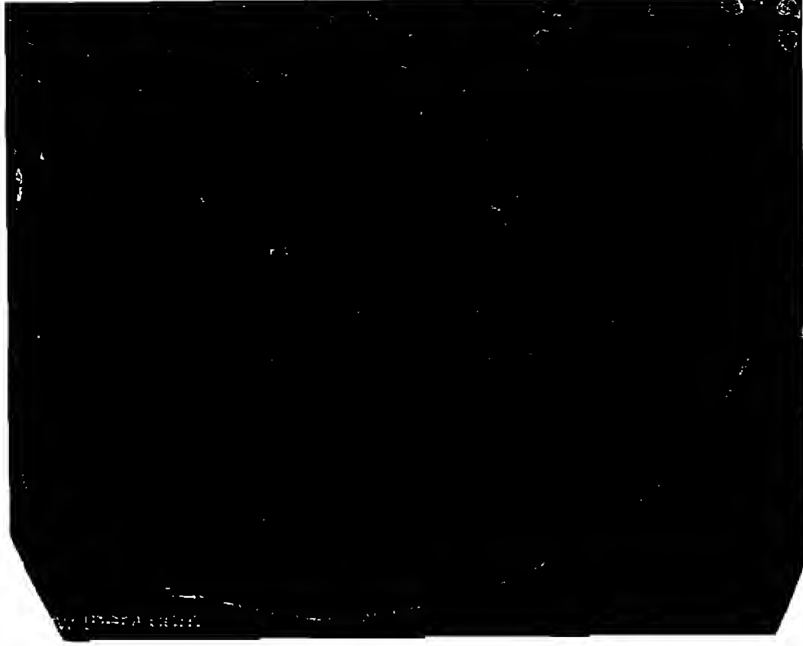
الفترة: الإمبراطورية الرومانية

رقم الكتالوج: *TBA*

التاريخ : غير معروف

المحتوى: وجوه شبحية زرقاء.

شكل (١١)



المتحف : متحف الفنون الجميلة – بوسطن – أمريكا

النوع : *Skyphos* رسم باللون الأحمر

الفترة: الكلاسيكية المبكرة.

رقم الكتالوج : *Boston 01. 8032*

التاريخ: ٤٥٠ ق.م.

المحتوى: أشباح على شكل رأس ماعز.